الدكتور الشيخ عبد الستار فتح الله سعيد وأثره في الدراسات القرآنية التفسير الموضوعي نموذجاً

بقلم/ د. رمضان خميس الغريب
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك في كلية الشريعة
جامعة قطر

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة وهداية للعالمين، محمدٍ – صلى الله عليه وسلم– وآله وصحبه والتابعين، اللهم إنا نبرأ من حولنا وطولنا وقواتنا، ونلوذ بحولك وطولك وقوتك؛ فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا قبضتها يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك يا حنان يا منان يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام أن تجعل أقوالنا وأعمالنا وحركاتنا وسكناتنا فيك لك خالصة؛ إنك على كل شيء قدير، اللهم إنا نسألك إيمانا لا يرتد، ونعيما لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ونسألك مرافقة النبيين في الجنة...

أما بعد، فإن من نعم الله على هذه الأمة أن قيض لها على تطاول الأعصار وتباعد الأمصار من يجدد لها دينا، ويرشدها إلى طريق ربها، ويهديها إلى صراطها المستقيم، و شيخنا العلامة الدكتور عبد الستار فتح الله من أعلام العصر الذين شغلوا الناس تفسيرا وحركة ودعوة وبيانا، ويتميز بأسلوب فريد في عمق الفكرة، ومتانة الأسلوب، وقوة البيان، وريادته في التفسير الموضوعي تأصيلا وتطبيقا، وتحريرا وتبويبا، وتبيينا وتعليما، بينة لكل مطالع في هذا الباب فضلا عن المختصين فيه والعلماء به، والناظر في تراثه – أطال الله عمره وبارك في عمله– يجد أنه شنف المكتبة الإسلامية في جانب التفسير وعلوم القرآن بعدد من الدراسات الموضوعية العميقة الرائدة والمتميزة، ومنها:

١- المنهاج القرآني في التشريع،وهو رسالته في العالمية الدكتوراه.

٢- المدخل إلى التفسير الموضوعي، وهو خلاصة فكره في منهجية الكتابة في التفسير الموضوعي، وهو بلا شك نقلة نوعية في مجال التفسير الموضوعي كما سيَبِين من أثناء الدراسة وأطوائها.

٣- محاضرات في التفسير الموضوعي، وهو تطبيق عملي للمنهاج الذي اختطه في التفسير الموضوعي، ودعا إليه.
٤- معركة الوجود بين القرآن والتلمود.
٥- العلم والعلماء في ظلال الإسلام.
٦- آن الأوان لتجديد الإيمان.
٧- المواضيع المكية في الآيات القرآنية.
٨- الغزو الفكري.
٩- القرآن دستورنا.
١٠- الشريعة الربانية المعجزة والقوانين الوضعية العاجزة.
١١- الجامع للتفسير الموضوعي.

وغيرها من الكتب التي لا تحمل عناوين تحت التفسير صراحة لكن لحمتها وسداها القرآن العظيم ومفاهيمه والسنة النبوية المطهرة، مما يستأهل الدراسة ويتطلب البحث، خاصة أن الشيخ ما زال عطاؤه في هذا الجانب ثريا فياضا، وله من الآراء ما يحتاج إلى الوقوف أمامه إفادة أو مناقشة.

أهمية الموضوع:

وتبدو أهمية هذا الموضوع من:

١- أن الشيخ له من المكانة العلمية والعملية، ما يعد فيه رائدا مقدَّما بما يتطلب عرض آرائه والإفادة منها أو مناقشتها وتحليلها.
٢- أن الشيخ له من التراث العلمي والفكري مايستأهل الوقوف أمامه والإفادة منه.
٣- أثر الارتباط بالكتاب والسنة والإفادة منهما في كتاباته حتى تلك التي يغلب عليها جانب الفكر والإصلاح، أو التربية والسلوك، أو الدعوة والخطابة.
٤- أثر الوعي بالقرآن وفقهه في تصوراته ورؤاه.
٥- أثر المراحل التي مر بها من ابتلاء ورخاء، وشدة وعطاء في تكوين رؤية علمية وفكرية في ضوء المحنة التي عاشها في غياهب سجون الطغاة.
٦- صحبة الأعلام المبرزين الذين التقاهم وأثروا في حياته وفهمه للقرآن الكريم مثل صاحب الظلال- رحمه الله-، وأثر ذلك في وعيه بالقرآن الكريم وقضايا التشريع والحاكمية، وخصائص الإلوهية، ونحو ذلك مما ظهر أثره في كتاباته العلمية والدعوية وحواراته وتصوراته على حد سواء.

٧- عمق الأسلوب ودقة العبارة، وطرحه لقضايا في التفسير وعلوم القرآن تحتاج إلى الوقوف أمامها، كالتفسير الموضوعي وريادته في هذا الجانب تأصيلا وتنظيرا، وتطبيقا وسلوكا، ودعوة وبيانا.

٨- أن الشيخ له منهج في التفسير الموضوعي، له ملامح ومعالم، يمكن من خلال تتبع كتابته التوصل إليه ورصده.

أسئلة البحث:

السؤال الأساس الذي يدور حوله البحث هو: ما جهود الدكتور عبد الستار في التفسير وعلومه والموضوعي منه خاصة؟

ويتفرع عن ذلك عدد من الأسئلة وهي:

أهداف البحث:

١- من خلال الإجابة على هذه الأسئلة يمكن تحقيق أهداف البحث الرئيسة والفرعية و هي:

- ما روافد التكوين التفسيري لدى الشيخ؟
- ما مصنفاته في التفسير وعلوم القرآن؟
- ما أثره في التفسير الموضوعي؟
- ما منهجيته في التفسير الموضوعي؟

سادساً: منهج البحث وأداته:

استخدم الباحث المنهج الوصفي والاستنباطي، والتاريخي، والتحليلي حسب طبيعة كل قضية يتناولها وكانت أداته جمع المعارف والمادة العلمية التي تخدم كل قضية كلا على حدة..

هيكل البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: بطاقة حياة.

المبحث الثاني: إطلالة على مصنفاته في التفسير وعلوم القرآن

المبحث الثالث: أثره في التفسير الموضوعي.

المبحث الرابع: منهجيته في التفسير الموضوعي.

الخاتمة: وشملت نتائج البحث والتوصيات.

فهرس المراجع والمصادر.

فهرس الموضوعات.

المبحث الأول: بطاقة حياة

موضوع هذه الدراسة وفارس ذلك الميدان هو العالم المفسر المجاهد الداعية: **الأستاذ الدكتور/ عبد الستار فتح الله سعيد** من علماء الأزهر الشريف وأستاذ في جامعته، وصاحب أول دكتوراه من داخل السجون المصرية وعضو من أعضاء جبهة علماء الأزهر، وهو أيضا عضو بالمجمع الفقهي بمكة المكرمة والهيئة الإسلامية العالمية، وصاحب الدراسة المميزة عن المنهاج القرآني في التشريع، والمدخل إلى التفسير الموضوعي، وهو من أعمق ما كتب في التأصيل للتفسير الموضوعي، كما سيتضح ذلك من الصفحات الآتية.

ونحن في هذه التطوافة السريعة لا ندعي أننا سنؤرخ للدكتور عبد الستار، ولا نتتبع جهوده في كل الميادين التي أثرى فيها الأمة، بل لا يعدو ما نقوم به لونا من القيام بالواجب الذي تحتمه حقوق الأساتذة على التلامذة والشيوخ على المريدين، والآباء على الأبناء، والسابقين من الدعاة على من أفادوا منهم ، وتعلموا على يديهم، مباشرة حينا ومن خلال كتبهم أحيانا.

وشيخنا العلامة الدكتور عبد الستار ممن لا يتحدث عن شخصه ولا يؤرخ لمواقفه، بل لا يشغل نفسه أساسا بهذه القضية، وهو ممن لم يأخذوا حقهم ،علمياً أو دعوياً، على الرغم من أثره البارز في طلابه وكل من اقترب منه علما، أو دعوة، أو فكرا، فضلا عن نتاجه الماتع النافع الذي يقدره المختصون في الدراسات القرآنية ،والشرعية، والمعنيون بها بصفة خاصة.

مولده وموطنه:

ولد الشيخ بقرية كفر مساعد مركز إيتاي البارود بمحافظة البحيرة في رجب من العام ١٣٥٠ هـ ، الموافق شهر نوفمبر ١٩٣١م ، وتربى بها، والتحق بالأزهر الشريف، ثم بجامعته.. وعمل مدرسًا للمواد الشرعية بعد تخرجه، بمحافظة سوهاج ثم عمل أستاذًا بجامعة الإمام الإسلامية بالرياض، وكلية أصول الدين بالقاهرة، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

ولا شك أن البيئة التي تربى فيها العلامة الشيخ عبد الستار كان لها الأثر البين في حياته العلمية والعملية فيما بعد، نشأ شيخنا – كما ذكرنا– في قرية كفر مساعد بمركز إيتاي البارود بمحافظة البحيرة، وهذه المنطقة ذات تاريخ عريض في إنجاب العلماء، والشعراء، والمجددين، الذين خلفوا شهرة واسعة في مصر والعالم الإسلامي، "منهم الشاعر المجدد محمود سامي البارودي، ومنشئ كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث الإمام الشهيد حسن البنا، وقد قدم هذا البلد كذلك ثلاثة من أئمة الأزهر هم: الشيخ سليم البشرى، والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمود شلتوت"، كما قدم الشيخ محمد البهي، والشيخ حامد الفقي مؤسس جماعة أنصار السُّنَّة، والشيخ عبد الحميد كشك، والشيخ العلامة محمد الغزالي، كما قدمت تلك البيئة الشاعر المعروف علي الجارم،والشاعر المميز أحمد محرم، والداعية المجاهد عباس السيسي، والدكتور عبد اللطيف حمزة، والدكتور عبد الوهاب المسيري،وغير هؤلاء الكثير، وبيئة كتلك لها مكانتها لابد أن جوها العلمي والديني كان ذا أثر في

إنضاج شخصية الشيخ العلمية كما تنضج أشعة الشمس الدافئة أطايب الثمر، فنضجت شخصيته، واتجه للعطاء بعد أن ارتوى من الأخذ، وبعد أن تجاوب مع طبيعة تلك البيئة وعاش بل عايش قضاياها وهمومها، وفجرت في نفسه معالم ثابتة، وهَب لها حياته فيما بعد.

(ولد الشيخ –أطال الله بقاءه –في بيئة قروية متدينة بطبيعتها كشأن أهل القرية غالبا، وحفظ القرآن الكريم في صغره، في مكتب الشيخ محجوب الشايب، ثم انتقل ليحفظ القرآن في جمعية تحفيظ القرآن الكريم، ثم كتاب المنزل، .. وقد كان والداه وإخوته التسعة الكبار يحرصون على متابعة حفظه للقرآن ويشجعونه..

وبعد ما أتم حفظ كتاب الله ولم يتم الحادية عشرة من عمره، التحق بمعهد الإسكندرية الأزهري الدين([1])
وهذا يبين أثر تلك البيئة العلمية التي نشأ فيها شيخنا وعاش، سواء في المنطقة التي عاش فيها قريته ومحافظته، أم في بيئته الاجتماعية والأسرية وشيوخه وتعلمه كما سيبين ذلك فيما يأتي.

تعلمه:

- حفظ الشيخ القرآن الكريم قبل أن يلتحق بمعهد الإسكندرية الديني عام ١٣٦٤هـ ١٩٤٥م. كما سبق.
- حصل على الثانوية الأزهرية عام ١٩٥٠.
- تخرج في كلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م.
- حصل على تخصص التدريس من كلية اللغة العربية ١٣٧٨هـ.
- واصل الدراسات العليا في كلية أصول الدين (قسم الكتاب والسنة).
- حصل على العالمية من درجة أستاذ (الدكتوراه) عام ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.
- أشرف وناقش العشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه، وهو عضو المجمع الفقهي بمكة المكرمة، المنبثق من الهيئة الإسلامية العالمية رابطة العالم الإسلامي.

[1] – موسوعة الإخوان المسلمين: على موقع الشبكة العالمية.

المبحث الثاني

إطلالة على مصنفاته في التفسير وعلوم القرآن.

مصنفات الشيخ في التفسير وعلوم القرآن ليست كثيرة، ولا تتناسب مع قامته العلمية الرائدة، وفكره المميز ،وتأصيله البين الواضح، وتناوله العميق، وكان شيوخنا يقولون: "احذر صاحب الكتاب الواحد"، لكنها كتابات سدت في بابها فراغا، وملأت في مجالها مكانا، كنت تسأل عنه فلا تجد فيه بهذه الطريقة كتابات تذكر، خاصة كتاباته في التأصيل للتفسير الموضوعي كما سيظهر في حينه، عند تناول منهجيته في التفسير الموضوعي.

وقد كنا في أمس الحاجة لأن يكرمنا الشيخ الجليل بتلك الدراسات المؤصلة، التي تمثل منهاجا فريدا، في الاختيار، والطرح، والتناول، والأسلوب، وعمق الفكرة، ووضوح العبارة، ودقتها، وجزالتها، ولا يكفيك أن تقرأ كتابا من كتبه مرة واحدة، ولايغنيك،أن تقرأه كما تقرأ أي كتاب، والحق الذي لا أنكره بل أفخر به وأعتز، أنني من فترات طويلة،وأنا أتابع ما يكتب شيخنا متابعة دَرْس لا تكفي فيه الإطلالة ولا الاطلاع العادي، بل أمسك بالقلم والقرطاس حتى أسجل تلك الإجراءات، والخطوات التي أخرج بها من كل صفحة، ويتأكد هذا الأمر عندما تريد أن تكتب شيئا في التفسير الموضوعي الذي هو رائده، وقائده، ومعبد طريقه، وممهده، فتتناول كل خطوة على شعاع من سناه، وضوء من هداه.

ويمكننا أن نطل إطلالة على مصنفات الشيخ في التفسير على النحو الآتي:

- **المنهاج القرآني في التشريع،وهو رسالته في العالمية (الدكتوراه)**

وهو صيحة من صيحات الحق، وقذيفة من قذائف الصدق، التي اكتسبت من الظرف الذي مرت به قوة وصلابة، ومن المناخ الذي رَبِيَتْ فيه، عمقا ومتانة، وعنوانها موضوع هادئ في الظاهر، لكنه مصارعة بين الحق والباطل في الباطن، وكشف لعواره، وفضح لخبيئته،وكشف لستره،بعد أن استقوى الطغيان، وتمدد الإلحاد،واستعلى على عباد الرحمن، واستقوى بحزب الشيطان، ويمكننا أن نتناول هذا الدراسة الجليلة في النقاط الآتية:

١ – **موضوعها:** وموضوع هذه الدراسة المتميزة هو المنهاج القرآني في التشريع.

٢ – **مجالــه:** وهذا البحث مجاله أهل التوحيد بداية، ليبين لهم عظمة المنهاج الرباني، ومنهجيته في تناول القضايا، وهو يقصد إلى اللب المقصود والهدف المنشود؛ لأنه شريعة الثقلين، وسعادة الدارين، والوسيلة المتفردة لاستنقاذ العالمين.

٣– **توقيتهـا:** وتظهر قيمة هذه الدراسة بوضوح عند معرفة الظرف التاريخي الذي سجلت أو نوقشت فيه، وهو ظرف استفحل فيه الباطل، وتمدد فيه الطغيان على كل ما هو إسلامي، وكل ما يتصل بالوحي السماوي، ويصور صاحب الدراسة تلك الفترة بقوله: (إنَّ لهذه الرسالة قصَّةً طويلةً، حيث تبدأ هذه القصة حين فرغت من الدراسات العليا بجامعة الأزهر، وشرَعْتُ في تحضير موضوعٍ لرسالتي

العلمية، في وقتٍ عصيبٍ رهيب1384هـ،1964 م، وكان الطغيان الحقود قد بلغ فيه غاية الصلف والغرور، والاستكبار والاستهتار، وأخذ يستجلب لأمتنا أنكد مذاهب الإلحاد والإفساد، ويقودها إلىُ كلِّ دروب الكفر والفسوق والعصيان، خاصةً بعد أن سَحِق طلائع الحركة الإسلامية العالمية سَحقًا دنيئًا غادرًا، لم يرع خلاله خُلُقًا ولا دينًا، ولم يرقُب معه في مؤمنٍ إلاًّ ولا ذمَّةً!!

في هذه الظروف سجلتُ رسالتي في كلية أصول الدين بالقاهرة ولم يكن في الدولةِ آنئذٍ غيرها، وكانت موضوعًا دينيًّا هادئًا في ظاهره، ولكني كنتُ قد عزمت العزم على هدفٍ أوضح من الشمس في نفسي، هو أن أجعلَ من هذه الرسالة منازلةً علميةً لكل ما جلبه الطغيان من مناهج، ومذاهب، وأفكارٍ موغلةٍ في الضلال والبُطلان، يراد بها صرفُ المسلمين عن منهاج ربهم، بعدما تبين من عظمته وشموله، وتفرده بغاية الكمال والتمام في كل شئون الحياة، أقبلت أجمع مراجع الرسالة، وأستخرج منها مادتَها العلمية؛ وأرتبها في مواضعها، نحو سنةٍ أو أكثر، حتى قطعت شوطًا طويلاً في ذلك، قبل أن تهب على الإخوان المسلمين رياح التنكيل؛ حيث شنت أجهزة الرئيس عبد الناصر حربًا ضاريةً على دعاة الإسلام ورجاله جميعًا، سنة ١٣٨٥هـ،1965 م، بعدما تأكد له أنَّ جرائمه الفاحشة طوال عشر سنوات سابقة، لم تُفْلح في خلع جذور الإسلام من القلوب والعقول، بل لم تزده المحن الهائلة إلا رسوخًا وامتدادًا بفضل الله وعنايته.

ولقد بلغت الحرب على الإسلام غايتها، حيث اختار الرئيس عبد الناصر عاصمة الإلحاد الشيوعي (موسكو) ليعلن منها هذه الحرب، وليقدم المؤمنين والمؤمنات قربانًا يترضى به أئمة الكفر في الشرق والغرب على سواء، مجددًا جرائمه في تلفيق الاتهامات، ثم سوق آلاف الرجال والنساء والولدان بها إلى أعماق السجون والمنافي، وقتل العديد من أنبل دعاة الإسلام ورجاله، على أعواد المشانق، بعد محاكمات عسكرية هزلية، أو تحت سياط التعذيب الرهيب!!

وامتدت العاصفة المجنونة تأكل الرجال والنساء، والبيوت والأسر، والقيم والأخلاق، والمال والمتاع، والكتب والرسائل، والمطبوع والمخطوط، والمستور والمنشور!!!)([1])

٤- مميزاته: وتتميز هذه الدراسة بأنها تناولت قضية أساسية من القضايا الهامة في حياة المسلم، وهي قضية التشريع ، وموقف الإسلام من التشريعات الجاهلية، والقوانين البشرية، التي زادت البشرية ضلالا على ضلالها،وبعدا عن منهاج ربها، وهي قضية لا يستغني عنها مسلم.

٥-خطته: ومضت هذه الدراسة المتميزة، على طريقة متميزة في البيان والإيضاح، وهي مقسمة إلى أربعة أبواب وخاتمة، الباب الأول في : قضية الخلق والأمر، فهو تأسيس لبيان الأصل والأساس الذي يقوم عليه (الأمر التشريعي)، في خط الوحي الإلهي، وما قابله من أساطير الأولين، وأما الباب

[1] - المنهاج القرآني: ا، ب، من المقدمة.

الثاني، ففي: (البشر بين الجاهلية والإسلام) ،وهو عرض للواقع العملي الذي قام عليه الأساس الأول، وأما الباب الثالث، فعرض لجوانب المنهاج القرآني من عقائد، وأخلاق، وعبادات،ومعاملات، وأما الباب الرابع ففي الحديث عن الأساليب والوسائل.

- **المدخل إلى التفسير الموضوعي:**

وهو خلاصة فكره في منهجية الكتابة في التفسير الموضوعي، وهو بلا شك نقلة نوعية في مجال التفسير الموضوعي.

ويمكن أن نصف هذه الدراسة المتميزة في النقاط الآتية:

سبب تأليفه : وسبب تأليف هذا الكتاب أنه أسند إلى الشيخ تدريس مادة التفسير الموضوعي ،في الدراسات العليا، بجامعة الإمام في مدينة الرياض عام ١٤٠٠هـ، فطفق يبحث عن كتاب يكون كالمقدمة أو المدخل لهذا اللون من التفسير ليجعله تأسيسا، أو تمهيدا بين يدي هذا اللون من التفسير، فلم يظفر بشيء،فكتب يومئذ مقدمة يسيرة في بيان هذا اللون من التفسير ،وبدأ يقيد فوائد متعددة كلما دعته الظروف إلى تناول شيء من التفسير الموضوعي، كالحلقات التي تناول فيها ستين حلقة لإذاعة القرآن الكريم، في الرياض،عام ١٤٠٢هـ، ثم كلف بتدريس مادة التفسير الموضوعي في كلية أصول الدين بالقاهرة، فأطال النظر فيما كتب في هذا الباب، وخرج هذا الكتاب المبارك، الذي سيكون لنا معه وقفات في مبحث قادم، بإذن الله.

هيكله: والكتاب يقع في مقدمة،وبابين وخاتمة،الباب الأول في حقائق التفسير وأصوله، ويتناول التفسير بمعناه العام، والتفسير الموضوعي ،وأنواعه، وأسباب بروزه، وأهميته وضرورته، ومنهج البحث فيه،والباب الثاني في نماذج من التفسير الموضوعي،مثل : الوحدانية والتوحيد في القرآن الكريم، والمعية في القرآن الكريم، والتبعية في القرآن الكريم،والعلم والعلماء في ضوء القرآن الكريم،والآخرة ومشاهدها في ضوء القرآن الكريم، والكتاب رائد في بابه، سابق في مجاله، يفيد منه رواد التفسير الموضوعي على اتساع رقعة العالم الإسلامي الفسيح، ويقدرون سبق وفضله، وهو يقع في ٢٨٤ صفحة من القاطع المتوسط، وطبعته دار التوزيع والنشر الإسلامية عددا من الطبعات.

- **محاضرات في التفسير الموضوعي:**

وهو تطبيق عملي للمنهاج الذي اختطه في التفسير الموضوعي ، ودعا إليه، وهذا الكتاب في أصله محاضرات تم تسجيلها لطلاب الدراسات العليا، في جامعة المدينة المنورة، ثم فرغت هذه المحاضرات، وعني بضبطها ومقابلتها،وهي عشرون محاضرة، تناولت بعد المقدمة: مدخلا إلى التفسير الموضوعي، والطريقة المثلى في دراسته،والحديث عن سعة موضوعات القرآن الكريم، والعقيدة في القرآن الكريم، وأساليب القرآن في الحديث عن الوحدانية والتوحيد،وطريقة القرآن في تقرير المعاد،والأخلاق والآداب والفضائل في ضوء القرآن، وطريقة القرآن الكريم في دعوة الكفار ،وانحرافات

المشركين والرد عليهم، وانحرافات اليهود والرد عليهم،وانحرافات النصارى وطرق الرد عليهم، وانحرافات المنافقين والرد عليهم،والأمثال في القرآن الكريم.

وفي الكتاب دعوة ملحة للمختصين والمهتمين بالتفسير والدعوة أن يعنوا بالتفسير الموضوعي ورصد الكتابات فيه؛ حتى ينشأ لدينا (الجامع في التفسير الموضوعي)؛ ليخدم الدعوة إلى الله ويبين إعجاز القرآن ، سواء كان ذلك على مستوى النمط الوجيز، أو الوسيط ، أو المبسوط([1]).

- **معركة الوجود بين القرآن والتلمود:**

وهو دراسة علمية قرآنية تكشف أسرارا جديدة من إعجاز القرآن العظيم، وتبرز دوره المتفرد في المعركة العالمية بين الإسلام واليهودية!!،كما أنها تستمد حقائقها من القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،وذلك سر الحقائق الدامغة التي رصدها، وزادتها الأيام تأكيداً وتوثيقا، وتؤكد أن الطرق كلها مسدودة أمامها إلا طريقا واحدا هو طريق الإسلام، وأن الرايات كلها منكسة فوقها إلا راية القرآن العظيم!.

(وهذه الدراسة ليست دراسة تخصصية فنية مجردة، وإنما هي دراسة مشربة بروح القرآن العظيم، ومترسمة آثار منهاجه الفذ في مخاطبة وجدان المسلم وعقله، وحسه وعصبه،وجسده وفكره،وسمعه وبصره، ... خاصة وهو معركة حياته، التي يتقرر بها وجوده أو عدمه، وانتصاره أو اندثاره...!!)([2]).

والدراسة تنهض في أوانها لترد معركتنا مع اليهود إلى خطها الصحيح، باعتبارها معركة دين واعتقاد، لا قضية أرض واقتصاد، وتبرز موقف القرآن الحاسم من اليهود، وما كشفه من أخلاقهم البالغة، غاية الالتواء، في كل الأجيال، حتى صاروا أعداء الحق، وعبدة العجل، وقتلة الأنبياء بغير حق، وأكلة الربا، ومحترفي الفسوق والإفساد في الأرض، فاستحقوا غضب الله ولعنته،وآذنهم بعذاب بئيس إلى يوم القيامة)([3]).

والكتاب مقسم إلى بابين،تحدث فيهما في الباب الأول عن اليهود وأنهم معضلة التاريخ، وفي الباب الثاني تحدث عن المعركة في ضوء القرآن العظيم، وتحدث عن أعداء الإيمان، واليهود في الميزان، ومفاتيح النفسية اليهودية.

وهي دراسة من القاطع المتوسط، ومن مطبوعات دار التوزيع والنشر الإسلامي، طبعت ست مرات،وهي في ٢٢٦ صفحة.

- **العلم والعلماء في ظلال الإسلام.**

---

[1] – محاضرات في التفسير الموضوعي،ص: ١٦،ط: منارات للإنتاج الفني والدراسات،ط: أولى،٢٠٠٨م.

[2] – معركة الوجود بين القرآن والتلمود، ط: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط: السادسة، ١٣١٥،ص: ١٨.

[3] – السابق ، من صفحة الغلاف.

والكتاب دراسة علمية تاريخية تبرز عظمة الحضارة العلمية في الإسلام،التي جمعت بين الإيمان والعلم،وقادت البشرية قرونا طويلة.

والكتاب سجل موقف الإسلام من العلم والعلماء ودعا الأمة الإسلامية لتجديد حياتها، والعودة إلى قيادة البشرية تحت لواء الوحي الإلهي، والتفوق العلمي ، حتى يعود الناس إلى الطريق المستقيم،مرة أخرى، يعملون للدين والدنيا، وللآخرة والأولى، وتلك عبقرية الإسلام الصالحة لكل العصور.

- **الغزو الفكري.**

وهذا الكتاب يكشف عن سر الفوضى والضياع والتناقض الفكري والسلوكي بين المسلمين، وكيف أصبح ذلك كله ظاهرة اجتماعية تتعايش معها أجيال المسلمين.

القرآن دستورنا.: طبعتها مؤسسة اقرأ،وهي عبارة عن عشر مقالات(١١١ صفحة من القطع الصغير)، كتبها ونشرها في عام ١٣٨١- ١٩٦١علي صفحات صحيفة" صوت الإسلام "التي كانت تصدرها جماعة شباب سيدنا -محمد صلي الله عليه- وسلم و تتضمن التذكير بقضية وجودنا ومصيرنا، وتدعونا إلى شريعة الله التي هدي إليها عباده وبعث بها رسله في كل العصور، وقد ساق المؤلف في البداية قصة هذه المقالات والظروف العصيبة التي كتبت فيها وضياع هذه المقالات حتى من دار الكتب المصرية ،وشاء الله أن يعثر المؤلف عليها بعد أن احتسبها عند الله- تعالي- وهي كما يقول:" تمثل أجل موضوع وأعظم نداء؛ لأنها شريعة الحق، وفريضة الرب، ودعوة النجاة والإنقاذ)([1])

- **مع القرآن العظيم:** وهو عدة محاضرات ،كتبها الشيخ في مطلع شبابه، وهو يعمل مدرسا في إحدى حواضر صعيد مصر، (مدينة سوهاج)، وتحدث فيها عن أغراض القرآن المكي في العقائد: الإلهيات والنبوات والسمعيات،وكان لها أثر في نفسه يدفعه للكتابة في هذا الجانب في بدايات نزول القرآن.
- **الأهداف الأساسية للقرآن في مراحل النزول:** وهو أثر تعامله مع القرآن في موضوع (مع القرآن العظيم)،وقد شرع الشيخ في أوائله، ثم حالت بينه وبين كتابته أحداث جعلته أملاً لا عملاً، ثم ضاعت هذه الدراسة وسابقتها جملة فيما ضاع من مستور ومنشور،حين وقعت محنة الإسلام الكبرى، بالإخوان المسلمين.
- **مواقف قرآنية:** وهو عبارة عن أحاديث إذاعية، تبلغ نحو ستين حلقة، كتبها الشيخ وأذيعت في برنامج لإذاعة القرآن الكريم، بالرياض المملكة العربية السعودية عام١٤٠٢هـ، وكانت خطوة في طريق نضوج فكرته عن التفسير الموضوعي.
- الشريعة الربانية المعجزة والقوانين الوضعية العاجزة.

[1] – من مشاركة للدكتور يسري خضر في ملتقى أهل التفسير.

- الجامع للتفسير الموضوعي. وهو حلم الشيخ يتغنى به في كل مؤلف، ويدعو إليه في كل مناسبة، ولم ينته بعد، وهو مشروع حياته،أن يخرج للناس موسوعة جامعة في التفسير الموضوعي، يضم موضوعات القرآن الكريم كاملة، بمنهج علمي سليم،
- **الدولة في ظل الإسلام:** وهي رسالة صغيرة تدور حول حقيقة لا ريب فيها، وهي أن الإسلام دين ودنيا، عبادة وقيادة، حكومة ودولة، وأن فصل الدين عن الدولة بدعة أوربية جاهلية وافدة من وراء البحار،تربت عليها أجيال المسلمين تقليدا لأعدائهم.

المبحث الثالث

أثره في التفسير الموضوعي

تـرك الـدكتور عبـد السـتار فـي التفسـير الموضـوعي بعـض الدراسـات التأصـيلية، وبعـض الدراسـات التطبيقيـة، التـي تعمـق وجهـة نظـره ومنهجيتـه فـي التفسـير الموضـوعي، سـبق الحـديث عـن توصـيفها، ونقـف الآن مـع تكييفهـا وتوظيفهـا، والحـديث عنهـا مـن زاويـة أخـرى، هـي زاويـة إضـافتها النوعيـة إلـى مسـار التفسـير الموضـوعي الناشـئ، ودعمهـا لفكرتـه،ودعوتها إليـه، ومناقشـة مـا فيهـا مـن فِكَـرٍ ومباحـث، تعـين علـى وضـوح مسـيرة التفسـير الموضـوعي مـن جهـة،وبيان أثـر الشـيخ فـي هـذا الجانـب المـاتع النـافع من التفسير من جهة أخرى، ويمكننا أن نحصر كتابات الشيخ في هذه الزاوية في المصنفات الآتية:

١- المدخل إلى التفسير الموضوعي.

٢- المنهاج القرآني في التشريع.

٣- محاضرات في التفسير الموضوعي.

٤- العلم والعلماء في القرآن.

ومـا عـدا هـذه الكتـب والدراسـات يعـد إضـافة إلـى التفسـير الموضـوعي ولـيس أصـيلا فيـه،ولا مقصـودا بـه لذاتـه، وإن لـم يخـرج فـي منهجيتـه عـن مـا تـأثر بـه الشـيخ فـي التنـاول والطـرح، والعـرض والبيـان،-ومـرة أخـرى لنقـف مـع هـذا النتـاج العلمـي الـذي زخـرت، بـل ظفـرت بـه مكتبـة الدراسـات القرآنيـة، لا لنصـفه بـل لنكشـف عـن أثـر الشـيخ مـن خلالـه، ونتعـرف علـى مـا قدمـه مـن نقلـة نوعيـة، فـي هـذا المجـال الخصـيب، وتلك الناحية الثرَّة من نواحي القرآن الكريم وظلاله.

ويمكننا أن نتتبع هذا الجهد من خلال النقاط الآتية:

١- التفسير الموضوعي قبل كتاب المدخل.

٢- ماذا أضافه الدكتور عبد الستار للتفسير الموضوعي؟

٣- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق لدى الدكتور عبد الستار.

أولاً: التفسير الموضوعي قبل كتاب المدخل:

التفسـير الموضـوعي جنـاح مـن أجنحـة التفسير،ومسـار مـن مسـاراته، نشـأ مـع نـزول القـرآن الكـريم، كمـا نشـأ التفسـير التحليلـي،وإن لـم يكـن بمعنـاه الـذي تعـورف عليـه اليـوم، بعـد التنظيـر والتأصـيل، والأخـذ والرد، وما زال في حاجة للنضج والاستقرار؛ حتى يؤتي ثماره المرجوة، وفائدته المبتغاة.

لقـد(نـزل القـرآن علـى رسـول الله (ﷺ)، وأقـرأه أصـحابه ، (رضـي الله عـنهم)، وكـانوا يعرفـون مـن أسـراره مـالا يعرفـه أحـد،ولكنهم لـم يـدونوها؛ لأن القـرآن مـلأ علـيهم حياتهم،فكـانوا دائبـين علـى دراسـته، وفقهـه،

ونشره بين المسلمين،وكانوا عربا خُلَّصا، يتمتعون بصفاء الذهن، وقوة العارضة،ثم إن معالجة الكتابة ليست بالشيء السهل بحيث تشجعهم على كتابة كل شيء)([1])

ومع ذلك فقد كان النبي(ﷺ) يقرب للصحابة ما نَدَّ عن ذهنهم، ويبين لهم اختلفوا فيه، أو سألوا عنه، ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود،أن الصحابة رضي الله عنهم، لما نزل قول الله (تعالى): (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)، الأنعام :٨٢. عز ذلك عليهم؛ فسألوا رسول الله (ﷺ)،وأجابهم بما يبين الجمع الموضوعي بين الآيات،وبيان القرآن بعضه لبعض، وتوضيحه في مكان ما أبهم في مكان آخر

فقد أخرج البخاري في صحيحه قال: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الأَعْمَشِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَلْقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ، (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)، وَقَالُوا أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.)([2])

يقول: الدكتور علي خليل تعقيباً على ذلك، "بهذه اللفتة الذكية، قد وجه . ﷺ ـ أصحابه إلى أن جمع المتشابهات من الآيات، يوضح المقام، ويرفع اللبس"(٣).

ثم دونت – بعد ذلك– العلوم الإسلامية،فوضع العلماء كتبا يمكن أن تصنف في التفسير الموضوعي ،في صورة من صوره، وزاوية من زواياه، فقد ألف قتادة بن دعامة السدوسي (١١٨هـ) في الناسخ والمنسوخ،وألف أبو عبيدة معمر بن المثنى(٢٠٩) في مجاز القرآن، وألف أبو عبيد القاسم بن سلام(٢٢٤) في الناسخ والمنسوخ، وألف علي بن المديني(٢٢٤) شيخ البخاري،في أسباب النزول، وكذلك والنيسابوري(٤٦٨)وألف أبو بكر السجستاني(٣٢٠) في غريب القرآن،وألف ابن قتيبة (٢٧٦) في مشكل القرآن، وألف الراغب الأصفهاني (٥٠٢) في مفردات القرآن، وألف الشريف الرضي(٤٠٦)،في مجاز القرآن، وألف الرماني(إعجاز القربن٣٨٦)، ، والخطابي(٣٨٨)، والباقلاني(٤٠٣) والجرجاني(٤٧١) في إعجاز القرآن.

ثم ظهرت لمحات التفسير الموضوعي (بذوراً أخذت تظهر في كثير من صفحات الكتب المطولة، التي عنيت بتفسير القرآن الكريم، ولكن بشكل ثانوي، لم يقصد إليه كمنهج مستقل، وفي شكل موجز في كثير من الأحيان كالفخر الرازي، والقرطبي وابن العربي(٤).

---

[1] – التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، للعلامة الدكتور أحمد الكومي،والدكتور محمد يوسف القاسم، ص٢٠،ط:أولى ١٤٠٢هـ، ١٩٢م،بدون دار نشر،وانظر البداية في التفسير الموضوعي،ص للدكتور عبد الحي الفرماوي، ص : ٨،.

[2] – صحيح البخاري :(٩/ ١٧)،ومسلم ١/٨٠.

(٣) من المذكرات الخطية. والبداية في التفسير الموضوعي،ص: ٣٢.

(٤)الإنسان في القرآن الكريم، دكتور: أحمد مهنا: ص: ١٨.

ومضت العصور تضيف جديدا، وتقدم حميدا في خدمة القرآن الكريم وعلومه، وهذه الأبواب صنف من أصناف التفسير الموضوعي العام، لكن هذا العلم لم يظهر بصورته المعروفة إلا منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجري، فقد سبق في هذا الميدان العلامة الدكتور أحمد السيد الكومي، شيخ الدكتور عبد الستار والمشرف على رسالته في الدكتوراه،في كتابه التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،ولفيف من شيوخ قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة، بوضع تصور لملامح التفسير الموضوعي ، فكتب الدكتور محمد يوسف القاسم مع الدكتور الكومي التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،وكتب الدكتور عبد الحي الفرماوي أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين في جامعة الأزهر بالقاهرة، كتابه: (البداية في التفسير الموضوعي).

ويمكن رصد ملامح هذا المنهج في النقاط الآتية:

١- اختيار الموضوع القرآني المراد دراسته دراسة موضوعية.

٢- حصر الآيات التي تدور حول هذا الغرض القرآني، وجمعها كلها، مكيها، ومدنيها.

٣- ترتيب هذه الآيات حسب نزولها على النبي (ﷺ)مع الوقوف على أسباب نزولها.

٤- التعرض لمعرفة مناسبات هذه الآيات في سورها.

٥- تكوين الموضوع بجعله في إطار متناسب، وهيكل متناسق، تام البناء، متكامل الأجزاء، قائم الأركان.

٦- تكميل الموضوع بما ورد من حديث رسول الله (ﷺ)، إن احتاج الأمر ذلك، حتى يكمل له هيكله، ويزداد وضوحاً وبياناً.

٧- دراسة هذه الآية دراسة موضوعية متكاملة، تُجانس بينها، وتوفق بين عامها وخاصها، ومطلقها ومقيدها، وتؤاخي بين متعارضها، وتحكم بناسخها على منسوخها، حتى تلتقي جميع هذه النصوص في مصب واحد، دون تباين أو اختلاف أو إكراه لبعض الآيات على معان لا تتحملها.

هذا هو المنهج.

و هو منهج جديد لكلية أصول الدين[١]، تسيير عليه الآن بإشراف أساتذة بها أفاضل، وقد أخرجت بالفعل كثيراً من الأبحاث التي تنضوي تحت لواء التفسير الموضوعي)([٢]).

ثم تواترت البحوث في التفسير الموضوعي والعناية به تزداد يوما بعد يوم، وعلى نفس المنهاج مع تفاوت بسيط يخضع لطبيعة الباحث ومدى إلمامه بالمنهج وقدرته على التطبيق،ثم وضع الدكتور عبد الستار تصوره للتفسير الموضوعي ومنهجية الكتابة فيه،فكان نقلة نوعية،في هذا المسار من مسارات

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم: ص٢٤.

٢ – البداية في التفسير الموضوعي:

الدراسات القرآنية، بنى فيه على السابق، وأسس على كلام شيخه الشيخ الكومي والدراسات المصاحبة له،وعني بالنظر إلى التفسير الموضوعي ومنهجه نظرة جديدة، فيه من تشييد البناء، وتعليته ما فيه.

ولقد عني الشيخ بالدعوة إلى الحديث عن التفسير الموضوعي، والإفادة منه تقريبا في كل كتاباته التي تتعلق بالتفسير، فلا يكاد يخلو مؤلف من مؤلفاته في التفسير إلا وهو متحدث التفسير الموضوعي أو مشغول به،أو منبه إليه، أو دال عليه، كما تناول منهجيته بطريقة جديدة فيها إضافة نوعية من حيث التعريف، والتقسيم،ومنهجية البحث،وألوان التفسير الموضوعي،كما سيتضح من تضاعيف هذه الدراسة.

ثانيا: ماذا أضافه الدكتور عبد الستار للتفسير الموضوعي؟

نستطيع أن ندرك أثر الدكتور عبد الستار في التفسير الموضوعي، وإضافته فيه من خلال:

١- **تحديد تعريف جامع مانع للتفسير الموضوعي**، بقوله:

(هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم،المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة،بشروط مخصوصة، لبيان معناها واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع)([1])،وهذا باعتباره مركبا وصفيا، وعرفه باعتباره علما على فن مدون بقوله: (هو الذي تجمع فيه قضايا القرآن الكريم،وتفسر تفسيرا علميا على أساس الموضوع، وتدون في بحث مفرد، أو كتاب على نمط موسوعات التفسير التحليلي،بحيث يرجع الباحث إلى الموضوع الذي يريده، ويعلم موقف القرآن منه في يسر وسهولة)([2])

٢- **تقسيم التفسير الموضوعي إلى أنواع ثلاثة:** الوجيز، والوسيط والبسيط.([3])، و سيأتي الحديث عن تفصيل ذلك وتحرير الكلام فيه بين القبول والرد في الحديث عن منهجية الشيخ في التفسير الموضوعي.

٣- **تحريره للمقصود بالتفسير الموضوعي من خلال تقسيمه إلى عام وخاص**، وإخراج القسم العام من التفسير الموضوعي المقصود والتأكيد أن المراد المعنى الخاص.([4])، ومناقشة ذلك في ضوء الكتابات عن التفسير الموضوعي.

٤- **بيانه -عملياً لأهمية التفسير الموضوعي، من خلال:**

- إبراز إعجاز القرآن الكريم،على وجه يلاءم العصر.
- الوفاء بحاجات هذا العصر إلى الدين.

---

[1] - المدخل: ٢٠.

[2] - السابق: ٢١.

[3] - السابق: ٢٦، ٢٧.

[4] - انظر السابق : ٢٤ ، ٢٥.

- تأصيل الدراسات القرآنية والعلمية،كعلم الأصول القرآنية ، وعلم الإعجاز التشريعي، وعلم الحكمة القرآنية.
- تصحيح مسار الدراسات القائمة، وذلك من خلال: تصحيح طريقة النظر إلى القرآن الكريم، وإصلاح طريقة التفسير وإنضاجه، وضبط القواعد العلمية.([1])

٥- تأكيده الدائم أهمية البحث الموضوعي

وإخراج موسوعة جامعة عن التفسير الموضوعي في القرآن الكريم، وقد مارس الشيخ بنفسه هذا النداء فوقف جهده على هذا اللون من الدراسات القرآنية تقريبا، فأخرج فيه نتاجا مباركا، طبق فيه منهجه الذي تبناه في التفسير الموضوعي.

ثالثاً: كتاب المدخل إلى التفسير الموضوعي وأثره في الكتابات في التفسير الموضوعي من بعده.

نستطيع – من خلال التطواف بين الكتابات في التفسير الموضوعي – أن ندرك أن كتاب المدخل إلى التفسير الموضوعي للشيخ يعد مرجعا أصيلا في هذا اللون من ألوان التفسير، وإضافة نوعية له، فكل ما جاء بعده مر عليه،وأفاد منه، سواء مباشرة أو مناقشة ومحاورة، وبهذا اللون من التعانق العلمي والفكري ينضج العمل ،وتأتي الثمرة بإذن الله.

ونلمح ذلك من خلال كتابات العلماء والباحثين في التفسير الموضوعي، مثل : مباحث في التفسير الموضوعي، للدكتور مصطفى مسلم،وعنايته بتعريف الشيخ للتفسير الموضوعي([2])،ودراسات في التفسير الموضوعي، للدكتور زاهر الألمعي،ومنهجية البحث في التفسير الموضوعي، للدكتور زياد خليل محمد الدغامين، وغيرهم، وسيأتي مناقشة بعض الباحثين في تعقبهم لمنهجيات الشيخ في التفسير الموضوعي على ضوء ما كتب في التفسير الموضوعي.

رابعا: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق لدى الدكتور عبد الستار.

بان من خلال تتبع أثر الدكتور عبد الستار وجهوده وكتاباته في التفسير الموضوعي اهتمام الشيخ البالغ بهذا اللون من ألوان التفسير، ومدى حاجة العصر إليه؛ خاصة بعد التطور العلمي الهائل، والتخصص الدقيق الذي بدا في معظم الدراسات التطبيقية والنظرية على حد سواء، وتجدد قضايا البشرية تبعا لتطورها ووفرة معرفتها عن ذي قبل، فترك الشيخ رؤية في منهجية التفسير الموضوعي، وبعض الدراسات التي طبق عليها تلك المنهجية،فكتب في الجانب التأصيلي كتابه: المدخل إلى التفسير الموضوعي ، وفي الجانب التطبيقي كتب: الوحدانية والتوحيد في القرآن الكريم، والمعية في

[1] – انظر السابق : ٤٠ وما بعدها.

[2] – انظر : ص ١٥، ١٦، ط: دار القلم، ط: الثالثة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ضوء القرآن الكريم، والتبعية في ضوء القرآن الكريم، والعلم والعلماء في ضوء القرآن الكريم،والآخرة ومشاهدها في ضوء القرآن الكريم.

ولقد طبق الشيخ المنهجية التي تبناها في هذه الدراسات، وسيأتي الكلام عن منهجيته تلك وما أبداه عليها بعض الباحثين، نناقشهم ونفيد من هذا الخلاف.

المبحث الرابع

منهجيته في التفسير الموضوعي

أول ما يلفت النظر في كتابات الدكتور عبد الستار الأسلوب الجزل القوي، قصير العبارات، واضح النبرات، بيِّن المعاني، ويبدو أن تلك سمة جيل كامل من العلماء الذين رَبُوا على طريقة خاصة في التحصيل، والتدقيق، والبيان، فهذا الجيل تميز في مجمله بالعمق اللغوي، ونصاعة البيان،ومتانة الأسلوب.

وتبدو ملامح الأسلوب لدى الدكتور عبد الستار في تأثره بالقرآن الكريم وبيانه، كأن يقول: (كانت هذه الدراسة .. التي أسميتها " المدخل إلى التفسير الموضوعي" رجاء أن تكون مدخل صدق إلى رحابه.....وإني لأدعو مشائخي وإخواني لمتابعة الجهود في هذا الباب؛ حتى يبلغ الكتاب أجله، ويستوي الزرع على سوقه، فيصل هذا العلم إلى منتهاه بإذن الله)([1]).

أو يقول –وهو يتحدث عن رسالته العالمية: (إنَّ لهذه الرسالة قصَّةً طويلةً، تبدأ هذه القصة حين فرغت من الدراسات العليا بجامعة الأزهر، وشرَعْتُ في تحضير موضوعٍ لرسالتي العلمية، في وقتٍ **عصيبٍ رهيب**1384):هـ،1964 م(، وكان الطغيان الحقود قد بلغ فيه غاية الصلف والغرور، **والاستكبار والاستهتار**، وأخذ يستجلب لأمتنا أنكد مذاهب **الإلحاد والإفساد**، ويقودها إلى كلِّ دروب **الكفر والفسوق والعصيان**، خاصةً بعد أن سَحِق طلائع الحركة الإسلامية العالمية سَحقًا دنيئًا غادرًا، لم يرع خلاله خُلُقًا ولا دينًا، **ولم يرقُب معه في مؤمنٍ إلاًّ ولا ذمَّة!!**)([2])

أو يقول في بيانه عن توصيف تلك الرسالة: (ليس هناك تكرار حرفي بين الأصل وبعض المنشور، وإنما لكل –في موضعه– وجهة هو موليها، وفائدة هو مؤديها)([3]).

كما يبدو بوضوح البيان الناصع، في قوله في المقدمة لرسالته أيضا عن الترابط بين أجزائها: (ابتداء من جذورها الغائرة، إلى أزهارها وثمارها الباهرة).

ومن يقرأ مقدمات كتب الشيخ فقط يجد هذا التأنق البياني والتألق اللغوي الذي يمتع السامع والقارئ على حد سواء ،ويبرز في الوقت نفسه أثر القرآن وعلومه على بيان الشيخ وأسلوبه،وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

أما عن **منهجيته** فيمكن أن نتتبعها من خلال عدد من النقاط؛ بغية أن نناقش منها ما يحتاج إلى مناقشة، في ضوء رؤية تسعى إلى بلورة منهجية في التفسير الموضوعي، يكون مهاداً للكتابة فيه على بصيرة، فالتوصيف قبل التكييف، والتعريف قبل التكليف.، ويمكن أن تبدو ملامح المنهجية للتفسير الموضوعي لدى الشيخ من خلال النقاط الآتية:

---

[1] – المدخل من المقدمة: ٨، ٩.

[2] – المنهاج القرآني: ا، من المقدمة.

[3] – السابق: ز من المقدمة.

أولاً: تعريف التفسير الموضوعي لديه

ثانياً: خطوات التفسير الموضوعي لديه.

ثالثاً: الوحدة الموضوعية وعلاقتها بالتفسير الموضوعي، في رأيه.

رابعاً: علاقة السنة بالقرآن في التفسير الموضوعي، لديه.

خامساً: أنواع التفسير الموضوعي في نظر الشيخ

سادساً: مناهج البحث في التفسير الموضوعي في نظر الدكتور عبد الستار.

وفي هذه الصفحات أحاول أن أتلمس هذه المنهجية في ضوء تلك النقاط فأقول:

أولاً: تعريف التفسير الموضوعي لديه:

عرَّف الدكتور عبد الستار التفسير الموضوعي كما سبق بتعريفات متعددة باعتبارات متعددة، فعرفه باعتباره مركبا إضافياً، وباعتباره مركباً وصفياً، وعرفه باعتباره علما على فن مدون([1]).

ومن خلال تتبع تعاريف التفسير الموضوعي لدى العلماء قبله وبعده نجد ملامح منهجية الشيخ فيه.

فقد عرفه الدكتور الكومي –رحمه الله–بقوله: (هو بيان الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد،وإن اختلفت عباراتها، وتعددت أماكنها،مع الكشف عن أطراف ذلك الموضوع،حتى يستوعب المفسر جميع نواحيه،ويلم بكل أطرافه، وإن أعوزه ذلك لجأ إلى التعرض لبعض الأحاديث المناسبة للمقام لتزيدها إيضاحا وبيانا)([2])

ونلحظ هنا إدخال الدكتور الكومي –رحمه الله–السنة في بيان الموضوع إن احتاج الأمر إليه، والدكتور عبد الستار يرى أن يكون الموضوع خالصا للقرآن وحده، ولا تدخل السنة في هيكل الموضوع أو تأسيسه، فينبه على أنه (يجب على المفسر الالتزام بالعناصر التي استخرجها من النظر في الآيات الكريمة، ... ولا يصح أن يضيف عنصرا للموضوع من مصدر غير القرآن الكريم، لا السنة النبوية، أو اللغة، أو ما تقتضيه القسمة العقلية،ونحو ذلك، كما لا يجوز له أن يطوي عنصرا من القرآن بأي حجة يتصورها، ولو كانت دعوى الدفاع عن القرآن؛ مبينا أن تلك التجوزات أوقعت بعض المفسرين في شرك الانهزامية تحت وطأة التفوق المادي للكفار، فبدأ يتعامل مع بعض القضايا كالربا وتعدد الزوجات،والطلاق بصورة غريبة فيؤلها بما يبطلها أو يهدر وجودها من عناصر القرآن([3])

وعرفه الدكتور عبد الحي الفرماوي بقوله: (هو جمع الآيات القرآنية، ذات الهدف الواحد . التي اشتركت في موضوع ما . وترتيبها حسب النزول . ما أمكن ذلك . مع الوقوف على أسباب نزولها، ثم تناولها بالشرح والبيان، والتعليق والاستنباط، وإفرادها بالدرس المنهجي الموضوعي، الذي يجليها من

[1] – المدخل: ١٩، ٢٠، ٢١.

[2] – التفسير الموضوعي:١٦، ١٧. بدون.

[3] – المدخل: ٦٧، ٦٨، بتصرف يسير.

جميع نواحيها وجهاتها، ووزنها بميزان العلم الصحيح، الذي يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته، ويجعله يدرك هدفه بسهولة ويسر، ويحيط به إحاطة تامة، تمكنه من فهم أبعاده، والذود عن حياضه(١).

وعرفه الدكتور مصطفى مسلم بقوله: هو بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده(٢)

وعرفه الدكتور زاهر الألمعي بقوله: (هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن الكريم، المتعلقة بالموضوع الواحد لفظا أو حكما، وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية، مع الربط بينها لخدمة الموضوع الذي وردت فيه)(٣)

وعرفه بعضهم بقوله: (هو المنهج الذي يتخذه المفسر سبيلا للكشف عن مراد الله من خلال الموضوعات التي يطرحها،والقضايا التي يعالجها، توضيحا لهداية القرآن،وتجلية لوجوه إعجازه،أو هو العلم الذي يتخذ من الموضوعات الظاهرة أساسا في الكشف عن منهج القرآن وأسلوبه في معالجته لها،متخذا من القواعد والشروط المرعية في التفسير سلما للوصول إلى هدي الكتاب،وجلال شأنه)(٤)

وعرفه د زياد خليل الدغامين بقوله:

وعرفه بعضهم بقوله: (هو بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده)(٥).

وعرفه بعضهم بأنه البحث عن اللفظ واستخداماته في القرآن الكريم(٦)

و من هذه التعريفات نجد الفرق واضحا بين تعريف الشيخ وتعاريف هؤلاء العلماء من حيث: إن بعضهم تحدث عن الموضوعات الظاهرة ولا نعرف إن كان هناك موضوعات باطنة أو خفية،كما لا يظهر إن كان هذا التفسير على مستوى السورة أو على مستوى القرآن الكريم كله.ومن عرفه بالبحث عن المفردة أو اللفظ واستخداماته يلاحظ عليه أن البحث عن مفردة لا يتأتى في القرآن الكريم لجميع المفردات، وأن البحث عن المفردة لا يقصد منه التفسير الموضوعي،في أغلب الأحيان،بل يقصد به التعرف على المعاني الدقيقة للمفردة(٧)

ثانياً: خطوات التفسير الموضوعي لديه.

و يمكن أن نلخص منهجيته في التفسير الموضوعي في النقاط الآتية"

---

(١) انظر:البداية في التفسير الموضوعي: ٣٤، والوحدة الموضعية، دكتور محمد حجازي، ص ٢٥.

٢) مباحث في التفسير الموضوعي" ١٥.

٣ – دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ط: مكتبة الرشد، ط: الثانية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص: ١١.

٤ – التفسير الموضوعي في كفتي ميزان،د عبد الجليل عبد الرحيم: ٢٤.

٥ – مباحث في التفسير الموضوعي، د مصطفى مسلم:١٥.

٦ – دراسة موضوعية في سورة الزمر، نقلا عن منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم:١٤.

٧ – منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم:١٤.

١- المعرفة الدقيقة لمعنى التفسير الموضوعي الذي يريد المفسر مزاولته.
٢- تحديد الموضوع القرآني المراد بحثه تحديدا دقيقا،من حيث المعنى.
٣- اختيار عنوان له من ألفاظ القرآن ذاته، أو عنوان منتزع من صميم معانيه القرآنية.
٤- جمع الآيات المتعلقة بالموضوع، والعناية باختيار جوامعها،عند إرادة الاختصار.
٥- تصنيفها من حيث المكي والمدني، وترتيبها من حيث زمن النزول، ما أمكن.
٦- فهم الآيات الكريمة بالرجوع إلى تفسيرها، ومعرفة أحوالها من حيث أسباب النزول، وتدرج التشريع، والنسخ، والعموم والخصوص، وغير ذلك مما يتقرر به المعنى.
٧- تقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة، منتزعة من الآيات ذاتها، ورد الآيات إلى عناصرها ومواضعها من البناء الكلي للموضوع، مع تفسير موجز لما يحتاج منها إلى تفسير، واستنباط حقائقها القريبة من غير تكلف، ورد الشبهات عن الموضوع ذاته.
٨- التقيد التام في كل هذه الخطوات بقواعد التفسير الموضوعي، وضوابطه العلمية.([1])

وقد فصَّل الدكتور هذه الخطوات تفصيلاً،ونبه على أن عدم الوعي بالمعرفة الدقيقة لمفهوم التفسير الموضوعي يخرج الكاتب والباحث عن مسار التفسير الموضوعي أصلا، وقد رأت المكتبة الإسلامية عددا من الكتابات التي تحمل اسم التفسير الموضوعي وليس هو منه في شيء، ومن حيث تحديد الموضوع أشار الشيخ إلى أنه ينبغي أن ينظر من حيث وجوده في القرآن أولا، فإذا لم يكن موجودا فلا يتكلف البحث عنه،حتى لا تختلط القضايا،أو تتداخل المسائل،وكتب علوم القرآن كفيلة ببيان ذلك، وإن كنا نفتقد إلى الكتابة في موضوعات القرآن ورصدها بصورة تامة.

ولا يدخل الباحث من الموضوعات في القرآن إلا ما كان منه؛ فإن القرآن جاء منهاجا دينيا شاملا أم تفصيلات العلوم البشرية فليست من مقاصد القرآن،وإن قرر كثيرا من حقائقها.

وفي الحديث عن اختيار الموضوع، أكد أن يكون اللفظ قرآنياً صريحا أو مشتقا، وأن يختار أجمع لفظ قرآني ثم يضم إليه ما يقاربه، ثم ما يقابله،ويفيد في ذلك من الكتب: المعجم المفهرس للقرآن الكريم، المفردات للراغب الأصفهاني، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم،ثم إن فقد العنوان الصريح انتزع له عنوانا من أقرب لفظ بعد النظر في جملة المعاني القرآنية.

وعند الحديث عن جمع الآيات يتفاوت الجمع حسب اختيار المنهج المراد، من وجيز إلى وسيط، إلى بسيط.

[1] - المدخل: ٥٦، ٥٧.

ثم يأتي دور تصنيف الآيات إلى مكي ومدني، وتصنيف داخلي لكل عهد،حتى ترتسم الصورة في ذهنه واضحة، فيفيد في البيان عنها وذكر رأي القرآن الواضح فيها، ويعينه على ذلك كتب البرهان للزركشي،والإتقان للسيوطي، والمعجم المفهرس لمحمد فؤاد عبد الباقي.

ثم يأتي محور الحديث وبيت القصيد، وهو فهم الآيات حتى يتسنى تفسيرها بصورة صحيحة، وهنا يأتي دور التفسير التحليلي واضحا جليا.

ثم يأتي تقسيم الموضوع إلى عناصر وأجزاء، منتزعة من صميم المعاني المقررة في الآيات الكريمة.

ثم يأتي التقيد بقواعد وضوابط التفسير الموضوعي؛ حتى يتجنب المفسر الحشو والاستطراد،والتقسيمات الفنية المحضة.

ومن متممات الكلام في هذا الجانب لدى الدكتور أن يؤكد عددا من الأمور، منها: -الالتزام التام بعناصر القرآن .

-التقيد التام بصحيح المأثور في التفسير.

- تجنب الحشو والاستطراد في التعليق.

-التدقيق التام قبل التقعيد والتأصيل.

-مراعاة خصائص القرآن الكريم.([1])

ثالثاً: موقفه من الوحدة الموضوعية وعلاقتها بالتفسير الموضوعي.

يرى بعض الباحثين أن الدكتور عبد الستار ينكر الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية([2])،وراح يعرض الشبه ويفندها، والحقيقة أن الدكتور عبد الستار لم ينكر الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، بل أنكر أن تكون الوحدة الموضوعية على مستوى القرآن الكريم،أو مستوى السورة من التفسير الموضوعي، بل يعدها من الدراسات القرآنية،فيقول: (عد بعض العلماء في هذا النوع-التفسير الموضوعي العام-ما يسمى بالوحدة الموضوعية، في القرآن كله أو سورة منه، بأن يجعل للسورة هدفا ينتزعه من ملاحظة معانيها، ثم ينزل الآيات المتعددة في السورة لتحقيق هذا الهدف،ويرى أن هذا الضرب من الدراسات لا يدخل في التفسير الموضوعي؛ لأن موضوعه وهو هدف السورة، أمر التماسي،اجتهادي،تختلف فيه الأنظار، فكيف نصنف الآيات في السورة على هدف مختلف في تحديده؟، وكيف يقوم التفسير على الاحتمال؟ مع أن الأصل في التفسير الموضوعي أن يقوم على النصوص ذاتها)([3]).

---

[1] - المدخل: ٥٧-٨٦، بتصرف.

[2] - منهجية البحث في التفسير الموضوعي: زياد خليل محمد الدغامين، دار البشير،ط: أولى،١٤١٦هـ\١٩٩٥م، ص١١٣.

[3] - المدخل:٢٤، ٢٥.

ولو تأمل الدكتور الدغامين قليلا لرأى أن الشيخ لا ينكر الوحدة الموضوعية لا في القرآن كله، ولا في السورة القرآنية،بل لو نظر في حاشية الصفحة ذاتها لوجد الشيخ يقول: (اتفق العلماء جميعا على وجود "موضوعات في القرآن" يمكن فرزها ودراستها بذاتها،... واتفق جمهورهم على وجود مناسبة بين الآيات،وعلى هدف للسورة)([1])، بل يثني الشيخ على طريقة الدكتور دراز في كتابه النبأ العظيم، ويفضلها في تناول سورة البقرة على طريقة البقاعي([2])

بل في موضع آخر من كتابه يتحدث عن وجوه الترتيب في القرآن الكريم وموقع الجمع الموضوعي منها فيقول: (ترتيب النظام القرآني، أو ما يسمى "بالوحدة الموضوعية"،في السورة الواحدة،أو القرآن الكريم كله،ويرى أن القرآن كله كأنه كلام واحد، والآيات والسور تتكامل، لخدمة وبيان هذا الأمر الواحد،كل في موضعه،وأن هذا ينطبق على السورة باعتبارها وحدة قرآنية متميزة)([3])

ويستدل الشيخ على الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية،وفي القرآن كله بكلام الدكتور دراز: (لقد وضح لنا... أن هناك تخطيطا حقيقيا واضحا ومحددا، يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة،أي في السورة الواحدة)،ثم يعقب: (وهذا الذي يقوله الشيخ –رحمه الله– أمر تقوم عليه الأدلة، وتطمئن إليه النفس والعقل، ولكن (لا زال) البون بعيدا في وضع هذا على قوالب علمية محددة، تنتقل به من باب الالتماس والاجتهاد،والظن وكثرة الاختلاف، إلى باب الحقائق المحددة المعالم والأوصاف،ويومئذ يبرز لون جديد آخر من وجوه الإعجاز القرآني الفياض،وإنه لاتٍ بإذن الله)([4])

فأين إذن إنكار الدكتور للوحدة الموضوعية في القرآن الكريم؟

إن الدكتور عبد الستار لا ينكر الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، أو السورة القرآنية، بل يرى أنها من الدراسات القرآنية، وليست من التفسير الموضوعي.

رابعاً: علاقة السنة بالقرآن في التفسير الموضوعي.

أما عن علاقة السنة بالقرآن الكريم في هيكلة الموضوع القرآني وتقسيمه، فإن الشيخ يرى أن السنة لا تدخل في عناصر الموضوع ولا تقسيماته، ولا إنشاء معنى جديد بعيدا عن المعاني التي تضمنها الموضوع القرآني، ويؤد ذلك في الحديث عن خطوات المنهج في البحث في التفسير الموضوعي، حتى في العنوان الذي يختاره الباحث للموضوع القرآني، بأن (يختار للموضوع عنوانا من القرآن ذاته، أو عنوانا منتزعا من صميم المعاني القرآنية)([5]).

---

[1] – المدخل: حاشية ص٢٥.

[2] – السابق: نفس الصفحة والحاشية.

[3] – المدخل:٨٨، ٨٩.

[4] – المدخل: ٨٩، ٩٠.

[5] – المدخل:٥٦.

ثم يعود لأهمية الأمر فينبه عليه تنبيها خاصاً على وظيفة السنة النبوية في التفسير الموضوعي،ويرى أن المفسر يأتي بالحديث النبوي شارحا ومبينا للنص القرآني، ولا يصح أن يأتي به ليكون منشئاً لعنصر من عناصر الموضوع القرآني،ويؤد ذلك بأننا ما دمنا في إطار الموضوع القرآني وفي مجال التفسير الموضوعي، فلا نغادره؛ حتى تتحدد موضوعات القرآن مستقلة،ويعلم القارئ حدود ما أنزل الله على رسوله، وأن هذا من مقتضيات التحرير العلمي الدقيق، من وجوب التقيد بقيود الموضوع المراد بحثه([1]).

ويرى الدكتور عبد الستار هنا أن كلام شيخه الدكتور الكومي-رحمه الله- في هذا الجانب يحمل على شرح السنة للموضوع وليس على تأسيس عنصر جديد من عناصر الموضوع، حيث يقول الشيخ الكومي: (فإن أعوزه كمال ذلك الموضوع إلى حديث جاءت به السنة، حتى يكمل هيكله... جاء به..)([2])؛ لأنه يقول بعد ذلك: (حتى يستوعب المفسر جميع نواحيه، ويلم بكل أطرافه، وإن أعوزه ذلك لجأ إلى التعرض لبعض الأحاديث المناسبة للمقام، ؛ لتزيدها إيضاحا وبيانا)([3]).

وأبان عن مقصود شيخنا الدكتور عبد الحي أيضا عندما قال في منهج البحث في التفسير الموضوعي: (تكميل الموضوع بما ورد من حديث رسول الله " ﷺ" إن احتاج المر ذلك حتى يكمل له هيكله، ويزداد وضوحا وبيانا)([4])

وألمح في كلام الدكتور الكومي والدكتور الفرماوي ميلا إلى (تكميل) الموضوع من عناصر السنة، إن أعوز الباحث إكماله من القرآن، حتى قال الدكتور عبد الستار: نعم يوجد بعض توسع في عبارة: (تكميل الموضوع،وكمال هيكله)، فنبه هو على ذلك،سعيا منه إحكام خطة التفسير الموضوعي، وإرساء مناهج البحث فيه.

وإذا كان هذا كذلك عن السنة فمن باب أولى الحديث عن كلام الصحابة.

خامساً: أنواع التفسير الموضوعي في نظر الشيخ

يرى الدكتور عبد الستار أن التفسير الموضوعي نوعان:

النوع الأول: التفسير الموضوعي العام، وهو الذي بين أطراف موضوعه وحدة في الغاية فقط، وليس في أصل المعنى، وضرب لذلك نماذج بتفسير آيات الأحكام، والوحدة الموضوعية، ونحو ذلك.

النوع الثاني: التفسير الموضوعي الخاص: وهو الذي يقوم على وحدة المعنى والغاية بين أطرافه وأفراده، وضرب لذلك نماذج ب" الصبر في القرآن"، و" اليهود في القرآن".

---

[1] – المدخل:٦٨ بتصرف يسير.

[2] – التفسير الموضوعي:١٣.

[3] السابق:١٧.

[4] – البداية في التفسير الموضوعي:٦٢.

كما يرى أن هذا النوع من التفسير الموضوعي هو الاصطلاح العلمي، وهو أولى النوعين باسم التفسير الموضوعي عند الإطلاق، وهو ما يكتب كتابه (المدخل) تأصيلا له لتقريره وتحديده؛ لعظيم فائدته في عصرنا هذا.([1])

وعند التحقيق أرى أن هذا النوع الثاني فعلاً هو الأولى باسم التفسير الموضوعي، وهو الأولى كذلك بعناية الباحثين به، وتوفرهم عليه؛ خاصة أن النوع الأول حظي بعناية القدامى إلى حد كبير ككتاباتهم عن القسم في القرآن، وأحكام القرآن، والأشباه والنظائر في القرآن،وأمثال القرآن، ومجاز القرآن، وتأويل مشكل القرآن، والناسخ والمنسوخ في القرآن، وأسباب النزول، ومفردات القرآن، وغريب القرآن، ونحو ذلك.

كما يؤكد الشيخ أن الاختصاص هو محور التفسير الموضوعي ،حيث يقوم على تحديد الموضوع،وتناوله من جانبه الخاص، وربط عناصره ومسائله برباطه الأقرب؛ ليتم التمايز بين الموضوعات القرآنية المتكاثرة،وليعلم ما في كل منها من وجوه الإحكام والكمال، وما فيها مجتمعة من وجوه الترابط والتمام.([2])

ولم أر من الباحثين والكاتبين–حسب علمي– من قسم هذا التقسيم، وأكد أن التفسير الموضوعي المقصود هو النوع الخاص، وهو تقسيم –كما قلت– جدير بالاعتبار والتبني؛ لما يترتب عليه من تحديد دقيق لمصطلح التفسير الموضوعي من جهة، ولما له من أثر في توفر الباحثين على إنجازه من جهة أخرى، فيَخرُج للأمة تفسير موضوعي جامع، مبني على خطة علمية محكمة، بعد الاتفاق على مصطلحه وتحرير مفهومه، وفي ذلك خدمة للإنسان عامة والمسلم خاصة والدعاة على وجه أخص، لما فيه من أجوبة القرآن الحاسمة الفاصلة على مشكلات الحضارة والإنسان في كل زمان ومكان.

سادساً: مناهج البحث في التفسير الموضوعي، في نظر الدكتور عبد الستار.

يرى الدكتور عبد الستار أن مناهج البحث في التفسير الموضوعي لم يكتب فيها بذاتها، ولم يتكلم فيها الباحثون؛ لأن هذا العلم ما زال في طور التطور والاكتمال، وأن ما يراه هنا مستنبط من النظر فيما كتب منه،واجتهاد لضبط المناهج، فيرى أن التفسير الموضوعي من هذا الجانب ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ – التفسير الموضوعي الوجيز

وهو الذي يختار فيه المفسر عدة آيات لتفسر موضوعيا في مقالة، او محاضرة، أو خطبة أو حديث إذاعي، ويشترط لذلك الاجتهاد في اختيار الآيات الجامعة، وضبط عناصر الموضوع؛ حتى يأتي ممثلاً لموقف القرآن ما أمكن.

---

[1] – المدخل: ٢٥، ٢٦.

[2] –المدخل:٣٣.

٢- التفسير الموضوعي الوسيط

وهو الذي يختار فيه المفسر موضوعا يعرضه من خلال سورة واحدة، أومن خلال مجموعة سور،أو من خلال القرآن الكريم كله، ويشترط لذلك أن يختار المفسر جوامع الآيات التي تمثل أطراف الموضوع وعناصره،ثم يعرضها عرضا وسطا، بعد النظر والموازنة،ويرشح هذا النوع لكتابة التفسير الموضوعي الجامع، الذي يضم تفسيرا لموضوعات القرآن الكريم،مجموعة ومرتبة ، على نظام موسوعات التفسير التحليلي.

٣- التفسير الموضوعي البسيط

وهو الذي يقوم على الاستقراء والاستيعاب، والإحصاء الشامل لموضوع ما، فيجمع المفسر آياته كلها على الوجه التفصيلي،ولا يتحقق ذلك عملياً إلا في حالتين:

- إذا كان الموضوع في القرآن محدودا في آيات معدودة.
- إذا كان الموضوع سيفرد في كتاب مستقل، خاصة الرسائل العلمية([1])

هذا وقد شغب على هذا التقسيم من الدكتور عبد الستار بعض الباحثين، معتبرا أننا بذلك نفرض على آيات القرآن شكلاً معينا، في حين ان البحث العلمي الموضوعي في آيات القرآن ينبغي أن يكتمل، وينبغي لآيات القرآن أن تأخذ مداها في أداء المعنى،وتحقيق الهدف والغاية،-على قدر جهد الباحث- ، معتبرا هذا التقسيم بترا لحقائق الآيات أو موضوعاتها، أو مواقفها،واختزالا لمعانيها،وأن الذي يقرر حجم البحث هو التحصل على موقف قرآني شامل، أو حقيقة قرآنية كاملة،حذرا من أن يشغل القارئ بكتابات بعضها بسيط،وبعضها وسيط،وبعضها وجيز،معقبا على بعض النماذج التي طرحها الشيخ في المنهج الوسيط، وأنه ترك بعض العناصر الأساسية في موضوع الوحدانية مثلاً([2]).

والحق أن من يتأمل في تقسيم الدكتور عبد الستار، يجد أنه تقسيم مميز، روعي فيه خدمة موضوعات القرآن على مستويات متعددة، وخروجاً من إشكالية ترك عنصر من عناصر الموضوع الأساسية، أكد الدكتور أن الباحث والمفسر في المنهج الوسيط يلزمه (اختيار جوامع الآيات الكريمة، التي تمثل أطراف الموضوع وعناصره، ثم يعرضها عرضا وسطا، بعد النظر والموازنة!)([3]).

فالوسطية هنا في جانبين: الأول: جانب اختيار أجمع الآيات التي تلم أطراف الموضوع وعناصره، والثاني: جانب العرض، فلا مجال لضياع عنصر أساس من عناصر الموضوع، أو تفلت طرف من أطرافه.

و(الثغرة) التي أخذها الدكتور الدغامين على الجانب التطبيقي لدى الدكتور عبد الستار، وهي أنه لم يلم عناصر الموضوع كاملة، فيقضية: (الوحدانية والتوحيد في القرآن الكريم)،من حيث تركه الشبه

---

[1] - المدخل: ٢٦، ٢٧، بتصرف.

[2] - منهجية البحث في التفسير الموضوعي:٤٨، ٤٩.

[3] - المدخل: ٢٦.

التي أثيرت على التوحيد، أرى – والله أعلم– أنها ليست من صلب الموضوع وإلا فما الفرق بين البسيط والوسيط في التناول؟.

الخاتمة؛ أسأل الله حسنها

وشملت نتائج البحث والتوصيات.

وبعد،،،،

فقد بان من خلال تلك الدراسة المبسطة عدد من النقاط، من أهمها:

١- التعريف بعلم من أعلام التفسير والدعوة في العصر الراهن، وإبراز جهوده في التفسير والدراسات القرآنية عامة، والتفسير الموضوعي خاصة.

٢- كما بان لنا كم عاني العلماء والدعاة في مصر في العصر الناصري: عصر المظالم والهزائم،كما وصفه الدكتور أحمد شلبي في موسوعته،وكما يؤكد ذلك الواقع، وكم قدموا من عمر ووقت، وصحة وصبر ،في سبيل بلاغ الرسالة وأداء الأمانة.

٣- كما بان منها أثر البيئة التي عاش فيها الشيخ وَرَبَى، ومدى تأثيرها فيه،سواء أكانت بيئته القريبة: أسرته أم البلدة والشيوخ والأصحاب، والمدرسة والفكرية التي التحق بها وصار علما من أبرز أعلامها.

٤- أثر القرآن في شخصية الدكتور عبد الستار في مواقفه العلمية والعملية، والذي اتضح في رحلته في الحياة عامة، ومحنته في السجن خاصة، واختياره موضوع رسالته، ومنازلته لخصوم الحق.

٥- كما بان منها الخصائص النفسية التي تميز بها الشيخ وأثرها في حياته العلمية والعملية كذلك.

٦- كما اتضح من خلالها روافد التكوين التفسيري لدى الشيخ، والتي شملت النشأة والتربية، والأسرة المصغرة، والبيئة التي ربى فيها، والمدرسة الفكرية التي انتمى إليها، وسجنه وابتلاؤه، وشيوخه.

٧- كما اتضح منها مصنفاته في التفسير عامة، والتفسير الموضوعي منه خاصة.

٨- كما تناولت الدراسة كذلك أثره في التفسير الموضوعي وما قدمه في هذا المجال من رؤية تفسيرية حدت بالتفسير الموضوعي خطوات نوعية متميزة، شهد بها المختصون في هذا الباب.

٩- وبينت الدراسة منهجيته في التفسير الموضوعي ورؤيته فيه وناقشت منه ما يستحق المناقشة في ضوء الأصول المرعية، والرحم الموصولة بين شيوخ العلم وطلابه.

أهم التوصيات:

وإن كان من توصية في ختام هذه الرحلة المباركة التي أفدت منا أكثر مما أفدت، وأخذت منها أكثر مما أعطيت، فيمكن أن تكون في النقاط الآتية:

١- تأكيد العناية بأعلامنا وشيوخنا ورموز العلم ومناراته ترجمة وتعريفاً، وعناية وتقديماً، وبيانَ فضل حتى يفيد الجيل الخالف من الجيل السالف، ويحدث التوريث والتوارث العلمي والدعوي على حد سواء، خاصة مع من حرموا في فترة من فترات الظلم والطغيان من أخذ حقوقهم المعنوية والمادية، ومن شردوا في البقاع لا لشيء إلا أنهم يقولون: ربنا الله.

٢- توصية هؤلاء الأعلام بكتابة شيء من تاريخهم وحياتهم وسيرهم فتلك سنة حميدة تسهل على الباحثين والدارسين أن ينتفعوا بهم وينسجوا على منوالهم، خاصة أن الورع هنا ليس مقبولا بل الأمر مرده في جملته إلى الله وفضله وقبوله، فلقد عرفت عزوف شيخنا وعدد من شيوخنا عن تسجيل شيء من حياته ومواقفه العلمية والدعوية، بعدا عن الحديث عن النفس وكشف شيء يختبؤه هو بينه وبين ربه، والصواب أن أمثال هؤلاء الرموز العلمية والدعوية لم يعودوا ملكاً لأنفسهم بل هم ثروة قومية لأمتهم ودينهم وبلدهم على حد سواء.

٣- أن التفسير الموضوعي من أخصب المجالات لخدمة الدين والدعوة والأمة عامة، ونحن في أمس الحاجة إلى النظرة إليه نظرة تستنبط من القرآن حكمه الفصل في القضية، وقوله الأخير في المسألة، وما زلنا في حاجة إلى توحيد الرؤية وتبني منهجية متقاربة إن لم تكن متحدة في الكتابة في التفسير الموضوعي.

٤- وصية خاصة بالمؤسسات العلمية والجامعات أن تعيد النظر إلى أعلام الفكر ورموز العلم والدعوة، في بلادنا وفي أمتنا عامة، من حيث التأريخ لهم وإفساح المجال لبلاغ رسالتهم، التي هي رسالة الإسلام التقية الصافية، وأن نفصل بين الرأي السياسي في شخص أو فئة أو جماعة والرأي العلمي، فهناك من الرموز العلمية ما يعد زخرا قوميا لبلاده وأمته،ومع ذلك حال الرأي السياسي بينه وبين أمته تنتفع به، وتنهل من علمه وتميزه،وهذا مؤثر بلا شك في بناء النهضة،والشهود الحضاري للأمة المسلمة، التي اختارها الله لتكون أستاذة الدنيا ورائدة العالمين.

٥- تخصيص كراسي علمية في الجامعات المتخصصة في التفسير الموضوعي، واختيار الراسخين في العلم في هذا المجال لإفادة الأمة من حكم القرآن الفصل، وكلمته الحق، فنحن نعيش في عصر التخصص بل التخصص الدقيق، وسبق الغرب في هذا المجال واضح بين، ولا أقل من أن تعود الريادة للأمة المسلمة كما كانت من قبل بعد استكمال أدواتها وتوفر أسبابها.

والله وحده خير مسئول ومأمول

فهرس المراجع والمصادر.

١ – الإنسان في القرآن الكريم، دكتور: أحمد مهنا.

٢ – البداية في التفسير الموضوعي، د عبد الحي الفرماوي،بدون.

٣ – التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، للعلامة الدكتور أحمد الكومي، والدكتور محمد يوسف القاسم،ط:أولى ١٤٠٢هـ، ١٩٢م، بدون دار نشر.

٤– الجامع الصحيح المختصر، للإمام محمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري الجعفي، ط: دار ابن كثير، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م، ت/ د. مصطفى ديب البغا.

٥– الرجل القرآني: روبير جاكسون، ترجمة المرحوم الأستاذ أنور الجندي، ط: دار الاعتصام.

٦– – الشوقيات:

٧– – العمرية لحافظ إبراهيم:

٨– – المدخل إلى التفسير الموضوعي، ط: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط: الثانية، ١٤١١هـ /١٩٩١م .

٩– – المرأة المسلمة في المجتمع المسلم، ط:دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط: الثانية، ١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩م.

١٠– – المنهاج القرآني في التشريع، ط: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط أولى ١٤١٣هـ \ ١٩٩٢م، د من المقدمة، لأستاذنا الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد.

١١– – منهجية البحث في التفسير الموضوعي: زياد خليل محمد الدغامين، دار البشير، ط: أولى،١٤١٦هـ١٩٩٥م.

١٢– الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د محمود حجازي،

١٣– برنامج: القرآن في حياتهم.

١٣ – صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي،ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤ – في ظلال القرآن،لسيد قطب، ط: دار الشروق . القاهرة

١٥ – مجموعة الرسائل، للإمام الشهيد حسن البنا، ط: دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط: أولى،١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

١٦ – محاضرات في التفسير الموضوعي،ط: منارات للإنتاج الفني والدراسات،ط: أولى،٢٠٠٨م.

١٧ – معركة الوجود بين القرآن والتلمود، ط: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط: السادسة، ١٣١٥،ص: ١٨.

١٨ – موسوعة الإخوان المسلمين، الشبكة العالمية.

١٩ – ملتقى أهل التفسير.